جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

المرحلة الأولى: مادة اسس التربية

الدراسة الصباحية + المسائية

٢٠٢٤ ــ ٢٠٢٥

محاضرات في:

أعلام الفكر التربوي الإسلامي

التدريسي: الدكتور طه بنيان القيسي

للعام الدراسي ٢٠٢٤ ــ ٢٠٢٥

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

أعلام الفكر التربوي الإسلامي

أولاَ: ابن خلدون:

عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (١٣٣٢م – ١٤٠٦م). مؤرخ من شمال أفريقيا، تونسي المولد (٧٣٢هـ) أندلسي حضرمي الأصل، كما عاش بعد تخرجه من جامعة الزيتونة في مختلف مدن شمال أفريقيا، حيث رحل إلى بسكرة وغرناطة وبجاية وتلمسان، كما تَوَجَّهَ إلى مصر، حيث أكرمه سلطانها)الظاهر برقوق(، ووَلِيَ فيها قضاء المالكية، وظلَّ بها ما يناهز ربع قرن (٧٨٤-٨٠٨هـ)، حيث تُوُفِّيَ عام ١٤٠٦ عن عمر بلغ (٧٦) عاماً، ودُفِنَ قرب باب النصر بشمال القاهرة تاركا تراثاً ما زال تأثيره ممتداً حتى اليوم، ويعتبر ابنُ خَلدون مؤسسَ علم الاجتماع الحديث ومن علماء التاريخ.

عاش في أسرة علم وأدب، فقد حفظ القرآن الكريم في طفولته، وكان أبوه هو معلمه الأول، شغل أجداده في الأندلس وتونس مناصب سياسية ودينية مهمة وكانوا أهل جاه ونفوذ، نزح أهله من الأندلس في منتصف القرن السابع الهجري، وتوجهوا إلى تونس. وذكر في موسوعته كتاب العبر المعروفة باسم " تاريخ ابن خلدون " أنه من سلالة الصحابي وائل بن حجر وأنّ أجداده من حضرموت.

رحل عام ١٣٦٣) م) إلى غرناطة ومن ثمّ إلى إشبيلية ليعود بعد ذلك لبلاد المغرب، فأقام بها أربعة أعوام وشرع في تأليف)كتاب العبر) وأكمل كتابته بتونس ثم رفع نسخة من كتابه لسلطان تونس، ثم وتوجه إلى القاهرة حيث قضى بقية حياته، وتولى هناك القضاء المالكي بمصر بوصفه فقيهًا متميزًا، خاصة أنه سليل المدرسة الزيتونية العريقة، وكان في طفولته قد درس بمسجد القبة الموجود قرب منزله سالف الذكر المسمى "سيد القبة". توفّي ابن خلدون في القاهرة سنة

(١٤٠٦م- ٨٠٨هـ) ومن بين أساتذته الفقيه الزيتوني الإمام (ابن عرفة (حيث درس بجامع الزيتونة المعمور ومنارة العلوم بالعالم الإسلامي آنذاك.

الغرب وابن خلدون:

كثير من الكُتَّاب الغربيين وصفو تقديم ابن خلدون للتاريخ بأنه أول تقديم لا ديني للتاريخ، وهو له تقدير كبير عندهم، ربما تكون ترجمة حياة ابن خلدون من أكثر ترجمات شخصيات التاريخ الإسلامي توثيقاً بسبب المؤلَّف الذي وضعه ابن خلدون ليؤرخ لحياته وتجاربه ورحلته شرقاً وغرباً، تحدث ابن خلدون في هذا الكتاب عن الكثير من تفاصيل حياته المهنية في مجال السياسة والتأليف.

- أرنولد توينبي: ابتكر ابن خلدون وصاغ فلسفة للتاريخ هي بدون شك أعظم ما توصل إليه الفكر البشري في مختلف العصور والأمم.
- جورج مارسيز: إن مؤَلَف ابن خلدون هو أحد أهم المؤَلَّفات التي أنجزها الفكر الإنساني.
- ايف لاكوست: إن مؤَلَف ابن خلدون يمثل ظهور التاريخ كعلم، وهو أروع عنصر فيما يمكن أن يسمى بالمعجزة العربية.
- مكسيم غوركي: إنك تنبؤنا بأن ابن خلدون في (القرن الرابع عشر) كان أول من اكتشف دور العوامل الاقتصادية وعلاقات الإنتاج. إن هذا النبأ قد أحدث وقعًا مثيراً، وقد اهتم به صديق الطرفين المقصود به (لينين(اهتماماً خاصاً. من رسالة بعث بها مكسيم غوركي (أديب وناشط سياسي ماركسي روسي) إلى المفكر الروسي انوتشين (عالم آثار روسي) بتاريخ ٢١/ايلول سبتمبر ١٩١٢م.
- لينين: ترى أَلَيس في الشرق آخرون من أمثال هذا الفيلسوف.
- روجية غارودي: فيما يتعلق بدراسة هيكل المجتمعات وتطورها فإن أكثر الوجوه يمثل تقدماً يتمثل في شخص ابن خلدون، العالم والفنان ورجل الحرب والفقيه

والفيلسوف الذي يضارع عمالقة النهضة عندنا بعبقريته العالمية منذ القرن الرابع عشر. (روجية غارودي) ولد في١٩١٣، هو فيلسوف وكاتب فرنسي اعتنق الإسلام سنة ١٩٨٢.

ومكانة عائلته الاجتماعية مكنته من الدراسة على يد أفضل المدرسين في المغرب، تلقى علم التربية الإسلامية، ودرس القرآن الكريم الذي كان يحفظه عن ظهر قلب، واللسانيات العربية، وأساس فهم القرآن، الحديث، الشريعة (القانون) والفقه وعلم التاريخ.

لقد تجمعت في شخصية ابن خلدون العناصر الأساسية النظرية والعملية التي تجعل منه مؤرخاً حقيقياً، فقد استطاع، ولأول مرة، أن يوضح (أن الوقائع التاريخية لا تحدث بمحض الصدفة أو بسبب قوى خارجية مجهولة، بل هي نتيجة عوامل كامنة داخل المجتمعات الإنسانية)، لذلك انطلق في دراسته للأحداث التاريخية من الحركة الباطنية الجوهرية للتاريخ.

يقول: "فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران، ونميز ما يلحقه لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضاً لا يعتد به وما لا يمكن أن يعرض له، وإذا فعلنا ذلك، كان ذلك لنا قانوناً في تمييز الحق من الباطل في الأخبار، والصدق من الكذب بوجه برهان لا مدخل للشك فيه، وحينئذ فإذا سمعنا عن شيء من الأحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه، وكان ذلك لنا معياراً صحيحاً يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه."

علم الاجتماع:

يعتبر ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع أو علم العمران البشري. وقد ذكر في كتابه (مقدمة ابن خلدون)، وهو علم مستقل بنفسه، موضوعه العمران البشري

والاجتماع، ويهدف إلى "بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أم عقلياً، وأعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة، أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص. وكأنه علم مستنبط النشأة، ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة.

لقد قاد المنهج التاريخي العلمي الذي اتبعه ابن خلدون إلى التوصل إلى علم الاجتماع، وهذا المنهج يرتكز على أن كل الظواهر الاجتماعية ترتبط ببعضها البعض، فكل ظاهرة لها سبب وهي في ذات الوقت سبب للظاهرة التي تليها، لذلك كان مفهوم العمران البشري عنده يشمل كل الظواهر سواء كانت سكانية أو ديمغرافية، اجتماعية، سياسية، اقتصادية أو ثقافية. فهو يقول في ذلك:" فهو خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة هذا العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن الكسب والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال. ويناقش أيضا نظرية التطور لدى داروين وان لم يغص فيها. ثم يأخذ في تفصيل كل تلك الظواهر مبينا أسبابها ونتائجها، مبتدئا بإيضاح أن الإنسان لا يستطيع العيش بمعزل عن أبناء جنسه حيث: "ان الاجتماع الإنساني ضروري، فالإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية، وهو معنى العمران.

يناقش ابن خلدون العمران البشري بشكل عام مبيناً أثر البيئة في البشر وهو ما يدخل حاليا في علم الاتنولوجيا والانثروبولوجيا (علمُ الإنسان الفرد وأعماله وسلوكه)، ويتطرق لأنواع العمران البشري تبعاً لنمط حياة البشر وأساليبهم الإنتاجية قائلاً: "ان اختلاف الأجيال في أحوالهم انما هو باختلاف نحلتهم في

المعاش."مبتدئا بالعمران البدوي باعتباره أسلوب الإنتاج الأولي الذي لا يرمي إلى الكثير من تحقيق ما هو ضروري للحياة: "ان أهل البدو المنتحلون للمعاش الطبيعي، وانهم مقتصرون على الضروري، الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد."

ثم يخصص الفصل الثالث من (المقدمة) للدولة والمُلْك والخلافة ومراتبها وأسباب وكيفية نشوئها وسقوطها، مؤكداً أن الدعامة الأساسية للحكم تكمن في العصبية، والعصبية عنده أصبحت مقولة اجتماعية احتلت مكانة بارزة في (مقدمته) حتى اعتبرها العديد من المؤرخين مقولة خلدونية بحتة، وهم محقون في ذلك لأن ابن خلدون اهتم بها اهتماما بالغاً إلى درجة أنه ربط كل الأحداث الهامة والتغييرات الجذرية التي تطرأ على العمران البدوي أو العمران الحضري بوجود أو فقدان العصبية.

العصبية والسلطة في العمران الحضري:

انطلاقاً من نظريته السابقة المتعلقة بدور العصبية في الوصول إلى الرئاسة في المجتمع البدوي، وأصَّلَ ابن خلدون تحليله على نفس النسق فيما يتعلق بالسلطة في المجتمع الحضري، مبيناً أن العصبية الخاصة بعد استيلائها على الرئاسة تطمح إلى ما هو أكثر، أي إلى فرض سيادتها على قبائل أخرى بالقوة، وعن طريق الحروب والتغلب للوصول إلى مرحلة الملك (وهذا التغلب هو المُلْك، وهو أمر زائد على الرئاسة، فهو التغلب والحكم بالقهر، وصاحب العصبية إذا بلغ رتبة طلب ما فوقها)، معتمداً في تحقيق ذلك أساساً وبالدرجة الأولى على العصبية حيث أن (الغاية التي تجري إليها العصبية هي المُلْك). فهذه إذن المرحلة الأولى في تأسيس المُلْك أو الدولة، وهي مرحلة لا تتم إلا من خلال العصبية، وحالات الدولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار:

الطـور الأول: طـور الظفـر بالبغيـة، وغلـب المـدافع والممـانع، والاسـتيلاء علـى المُلْـك وانتزاعـه مـن أيـدي الدولـة السـالفة قبلهـا، فيكـون صـاحب الدولـة فـي هـذا الطـور أسـوةً بقومـه فـي اكتسـاب المجـد وجبايـة المـال، والمدافعـة عـن الحـوزة (المُلْـك) والحمايـة لا ينفـرد دونهـم بشـيء لأن ذلـك هـو مقتضـى العصـبية التـي وقـع بهـا الغلـب، وهـي لـم تـزل بعد بحالها.

الطـور الثـاني: طـور الاسـتبداد علـى قومـه، والانفـراد دونهـم بالمُلْـك وكـبحهم عـن التطـاول للمسـاهمة والمشـاركة، ويكـون صـاحب الدولـة فـي هـذا الطـور معنيـاً باصـطناع الرجـال واتخـاذ المـوالي والصـنائع والاسـتكثار مـن ذلـك، لجـدع أنـوف أهـل عصـبيته وعشـيرته المقاسـمين لـه فـي نسـبه، الضـاربين فـي الملـك بمثـل سـهمه، فهـو يـدافعهم عـن الأمـر ويصـدهم عـن مـوارده ويـردهم علـى أعقـابهم أن يخلصـوا إليـه حتـى يقـر الأمـر في نصابه.

الطـور الثالـث: طـور الفـراغ والدعـة (السـعة فـي العـيش)، لتحصـيل ثمـرات الملـك ممـا تنـزع طبـاع البشـر إليـه مـن تحصـيل المـال وتخليـد الآثـار وبُعْـد الصـيت، فسـيتفرغ وسـعه فـي الجبايـة وضـبط الـدخل والخـرج، وإحصـاء النفقـات والقصـد فيهـا، وتشـييد المبـاني الحافلـة والمصـانع العظيمـة، والامصـار المتسـعة، والهياكـل المرتفعـة، وإجـازة الوفـود مـن أشـرف الأمـم ووجـوه القبائـل وبـث المعـروف فـي أهلـه. هـذا مـع التوسـعة علـى صـنائعه وحاشـيته فـي أحـوالهم بالمـال والجـاه، واعتـراض جنـوده وإدرار ارزاقهـم وانصـافهم فـي اعطيـاتهم لكـل هـلال، حتـى يظهـر أثـر ذلـك علـيهم ذلـك فـي ملابسـهم وشكلهم وشاراتهم يوم الزينة. وهذا الطور آخر أطوار الاستبداد.

الطـور الرابـع: طـور القنـوع والمسـالمة، ويكـون صـاحب الدولـة فـي هـذا قانعـاً بمـا أولـوه سـلماً لأنظـاره مـن الملـوك واقتتالـه مقلـدا للماضـين مـن سـلفه، ويـرى أن الخـروج عـن تقليده فساد أمره وأنهم أبصر بما بنوا من مجده.

الطور الخامس: طور الإسراف والتبذير، ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفاً لما جمع في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطانته وفي مجالسه، واصطناع أخدان السوء وخضراء الدمن، وتقليدهم عظيمات الأمور التي لا يستقلون بحملها، ولا يعرفون ما يأتون ويذرون منها، مستفسداً لكبار الأولياء من قومه وصنائع سلفه، حتى يضطغنوا عليه ويتخاذلوا عن نصرته، مضيعاً من جنده بما أنفق من أعطياتهم في شهواتهم، وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم، ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه.

علم الاقتصاد:

ان النتيجة التي توصل إليها ابن خلدون في الفصل الثاني من (مقدمته) عند بحثه للعمران البدوي وهي: (ان اختلاف الأجيال في أحوالهم انما هو باختلاف نحلهم من المعاش) قادَتْه بالضرورة إلى دراسة عدة مقولات اقتصادية تعتبر حجر الزاوية في علم الاقتصاد الحديث، مثل دراسة الأساليب الإنتاجية التي تعاقبت على المجتمعات البشرية، وانتقال هذه الأخيرة من البداوة إلى الحضارة، أي من الزراعة إلى الصناعة والتجارة: (وأما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش، أما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات، وأما الصناعة فهي ثانيها ومتأخرة عنها لأنها مركبة وعلمية تصرف فيها الأفكار والأنظار، ولهذا لا توجد غالباً إلا في أهل الحضر الذي هو متأخر عن البدو وثان عنه).

يركز ابن خلدون على الصناعة جاعلاً منها السبب الأساسي في الازدهار الحضاري: (ان الصنائع انما تكتمل بكمال العمران الحضري وكثرته).

ويرفض ابن خلدون تدخل الدولة المباشر في الإنتاج والتجارة لما يترتب عليه من أضرار اقتصادية، فهو يرى أن حاجة الدولة لتغطية نفقاتها المتزايدة تدفعها نحو هذا التدخل، ولكن النتيجة حينئذ تكون بعكس القصد. يكتب ابن خلدون: "اعلم أن

الدولة إذا ضاقت جبايتها بما قدمناه من الترف وكثرة العوائد والنفقات وقصر الحاصل من جبايتها على الوفاء بحاجاتها ونفقاتها، واحتاجت إلى مزيد المال والجباية، فتارة توضع المكوس على بياعات الرعايا وأسواقهم كما قدمنا وتارة بالزيادة في ألقاب (معدلات؛ أسعار) المكوس إن كان قد استحدث من قبل، وتارة بمقاسمة العمال والجباة وامتكاك (امتصاص) عظامهم، لِمَا يرون أنهم قد حصلوا على شيء طائل من أموال الجباية لا يظهره الحسبان (المحاسبون)، وتارة باستحداث التجارة والفلاحة للسلطان على تسمية الجباية (باسم الجباية)، لما يرون التجار والفلاحين يحصلون على الفوائد والغلات مع يسارة أموالهم، وأن الأرباح تكون على نسبة رؤوس الأموال.

الفكر التربوي عند ابن خلدون:

له مساهمة فعالة في علم التربية والذي لم يكن معروفا كعلم أكاديمي مستقل مثل اليوم، وقد عملت دراسات كثيرة حول فكرهُ التربوي، ويمكن إجمال أفكاره التربوية في التالي:

١. أن العلم ينقسم إلى علمين علم نقلي وعلم عقلي.
٢. التدرج في التعليم.
٣. البدء بالمحسوسات والتدرج حتى الملموسات.
٤. يكون تعليم الصبي بداية بعض سور القرآن الكريم وبعض الأشعار حتى تقوى ملكة الحفظ.

وفاته: توفي في مصر عام١٤٠٦ م، ودفن في مقابر الصوفية عند باب النصر شمال القاهرة . وقبره غير معروف، والدار التي ولد بها كائنة بنهج تربة الباي عدد ٣٤ بتونس العاصمة بالمدينة العتيقة.

ويبقى ابن خلدون اليوم شاهداً على عظمة الفكر الإسلامي المتميز بالدقة والجدية العلمية والقدرة على التجديد لإثراء الفكر الإنساني.

كتبه ومؤلفاته:

- مقدمة ابن خلدون.
- تاريخ ابن خلدون، واسمه: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.
- لباب المحصل في أصول الدين.
- شفاء السائل لتهذيب المسائل.
- التعريف بابن خلدون ورحلاته شرقا وغربا (مذكراته).